سلسلة مطويات شبكة بينونة

احفظ الله يحفظك

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

إن من القواعد الإيمانية المهمة، والقيم الأخلاقية العظيمة: ما ذكره النبي ﷺ في وصيته العظيمة لابن عباس رضي الله عنهما وقد كان رديفه، فقال كلمة لا بد أن تُحفظ، وتُنكت في القلوب، قال: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ» (١).

نعم؛ من أراد الحفظ من الله، والله جل وعلا خير الحافظين، ولا حفظ أتم من حفظه عز وجل، حتى لو أجتمع جميع الناس على أن يضروك بشيء؛ لن يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك.

الله عز وجل هو الحافظ، وقد ضرب الله لنا في القرآن قصصاً وأمثالًا لحفظ الله عز وجل لأوليائه المتقين الصالحين؛

ومن ذلك: ما ذكره الله عز وجل في سورة الكهف من قصة أصحاب الكهف، تأملوا هذه القصة العجيبة؛ في كهفٍ يعيشون فيه نيامًا، ينامون فيه ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعة، ما هو السر العظيم الذي حفظهم، ومن يمكن له في هذه الفترة الزمنية الطويلة أن يحتفظ ببدنه وصحته، لا يلبث الجسم إذا كان نائمًا على مكانٍ فترة قصيرة من الزمن إلا ويتغير ويتآكل، وهم يمكثون في هذا الكهف ثلاثمائة سنين وفوقها تسع سنوات!

كما قال الله عز وجل: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

قصَّ الله عز وجل هذه القصة فقال: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣]؛ انظروا إلى السبب العظيم الذي كان هو

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

الأصل في حفظ الله تعالى لهم، قال: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

هنا نسائم الإيمان التي تحتوي هذه الثمرة العظيمة؛ وهي حفظ الله لهؤلاء الفتية وهي أن الله حفظهم لما حفظوا دينه، قال ﷻ: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

أعظم قيمة إيمانية؛ تحقيقُ توحيد الله ﷻ.

تحقيقُ توحيد الله ﷻ مفزع يلجأ إليه الموحدون، وركن وثيق يركن إليه المؤمنون، وحصن حصين يحتمي فيه المتقون، إذا كان أهل الإشراك لما ركبوا الفلك فدعوا الله مخلصين له الدين نجاهم ﷻ؛ فما بالك بأهل الإيمان إذا حققوا توحيد الله ﷻ؟! بلا شك أن الحفظ أعظم ؛ جاء عن عكرمة أنه قال: «فإذا كان الله ﷻ قد نجّى أهل الإشراك بإخلاصهم فأهل التوحيد أولى بالنجاة» أولى بالحفظ، أولى بمثل هذه الكرامة.

قال الله ﷻ في قصة أصحاب الكهف: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

اعتزلوهم لما عبدوا غير الله فآووا إلى ذلك الغار، واسع الفجوة، بابه من نحو الشمال لا تدخله الشمس لا في طلوعها ولا في غروبها، وتولى الله ﷻ حفظهم؛ فأصبح يُقلبهم ﷻ ذات اليمين وذات الشمال، وضرب على مكان الكهف نطاقًا من الرعب؛ مع أنه قريب من قرية قومهم إلا أنهم لا يصلون إليهم، ويهابونه إذا وصلوا إليه ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

تأملوا قصة يوسف عليه السلام كيف كان حفظ الله له؟! صغير رُمي في بئر، ثم يُباع، ثم يُتهم فيُسجن وهكذا من محنة إلى

محنة، والله ﷻ يقول في السورة: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٦٤].

انظر لحفظ الله لموسى عليه السلام؛ طفل صغير قد جمع فرعون الجموع على قتل جميع الأولاد، فتلقيه أمه في تابوت في بحر، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾ [القَصَص: ٧].

حفظ الله ﷻ أعظم من كل حفظ؛ فمن توكل عليه، وأطاعه، وعبده، ورجع إليه، ودعاه، فلابد أن يكون الله ﷻ له حافظًا؛ لأنَّ النبي ﷺ يقول: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»[٢]؛ «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

إذًا من أعظم أسباب حفظ الله للعبد أن يحفظ العبد شرع الله؛ وحفظ شرع الله ﷻ بثلاثة أمور:

بتعلُّمه.

وبالعملِ به.

الدعوة إليه لمن كانت عنده القدرة وتأهل في الدعوة إليه.

فمن كان كذلك فلابد أن تحوطه حماية الله، ومعية الله، وحفظ الله.

ومن الأسباب الجالبة لحفظِ الله للعبد: أن يكون العبد ذاكرًا لله؛ في نومه، وعند استيقاظه، وعند خروجه من بيته؛ لأنه ما دمت أنك ترى وتسمع فلابد أن ترى شيئًا من الفتن وتسمع شيئًا من تلك الشهوات والشبهات، والشيطان يؤز ويوسوس ويُزين، والدنيا مزخرفة مجملة كما قال ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ»[٣] فكيف ينجو الإنسان من هذه الخطاطيف؛ «... يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[٤]، فمن أراد الحفظ؛ حفظ الدين، وحفظ الصحة،

---

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).
(٤) أخرجه مسلم (١١٨).

عليه بذكر الله ﷻ والرجوع إلى الله، لاحظ إذا ذكر العبد الله ونام على وضوئه بات ملك يحرسه، وإذا قرأ آية الكرسي ينام وعليه حافظ من الله لا يقربه الشيطان، و« إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَيُقَالُ لَهُ: حَسْبُكَ، هُدِيتَ وَوُقِيتَ وَكُفِيتَ »(٥).

ومن الأسباب الجالبة لحفظِ الله للعبد الصدقة، والإحسانُ إلى الناس، صدقات السر تقي مصائب السوء، والمعروف يقي الإنسان تلك المصارع السيئة.

وأيضًا من الأسباب المهمة التي نستنتجها من قصة أصحاب الكهف؛ أنَّ من أراد البعد والسلامة وحفظ الله فلابد أن يبتعد عن مواطن الفتن والشر والزلل وخصوصًا التي تخطفُ دينه واستقامته، وتُضعف إيمانه.

والكسر في الدين صعب غير ملتئم   وكل كسر الفتى فالدين جابره

كل كسر قد ينجبر إلا الكسر في الدين؛ فإنه صعب الجبران؛ لذلك أتت الآيات بالتخويف من أن ينسى الإنسان شرع الله.

فقال ﷻ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التَّوبَة:٦٧]؛ نسوا الله ﷻ ما عرفوا، ونسوا شرعه ما عملوا به ولا تعلموه فنسيهم الله، فما بالك بإنسان تركه الله ﷻ، لا يكاد يهتدي لمصالح نفسه كما قال الله ﷻ في: الأخرى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحَشر:١٩]؛ حتى مصالح أنفسهم لا يكادون يصلون إليها.

لذلك ترى بعض الناس يرى طريق الغيِّ، وطريق الفتن ويعرف ويوقن أن هذا الطريق طريق شرٍّ، ولكنه يُردي نفسه فيه، ويسير في دركاته، ويتبع خطوات الشيطان، خذلان وركون إلى النفس؛ ومن وكل إلى شيء ومنه النفس فقد وكل إلى ضعيف.

لذلك النبي ﷺ كان في الحديث يقول: « اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٨٣٧).

أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ »[٦].

فمن نسيه الله ﷻ أنساه نفسه ومصالح نفسه فكان أمره عليه فرطًا، لا يسترشد إلى خير، تتخطفه الشياطين، ويضيق عليه صدره، وتضيق عليه الدنيا، ويكون أصدقائه وقرنائه أهل الشر الذين يؤزونه أزًّا.

فيجد في قلبه الضيق والضنك والحزن والهمَّ، وتجتمع عليه الدنيا؛ حتى أن بعضهم من شدة الضيق وكأنه يتنفس من خرم إبرة.

إذًا لنجعل هذه القاعدة أمامنا دائمًا: « احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ »[٧].

إذا أردت حفظ الله فكن لشرع الله حافظًا، وإن أردت النصر من الله فكن لدين الله ناصرًا، وإن أردت الكفاية من الله فكن على دين الله قائمًا.

كما قال الله ﷻ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ ﴾ [الزُّمَر: ٣٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة جميلة، قال: «فمن حقق العبودية التامة تحققت له الكفاية التامة».

نسأل الله ﷻ أن يحفظنا بحفظه، وألا يكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يجعلنا لشرعه حافظين، متعلمين، عاملين، داعين إليه بالحكمة والكلمة الصالحة الطيبة.

ونسأل الله ﷻ أن يُجنبنا وإياكم مضلات الفتن والشرور والمحن، وأن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء.

وصلى الله على نبينا محمد.

---

(٦) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠).
(٧) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).